دواوين الجمع والإرداف

«الرمزيات» تراث منسي

إعداد الدكتور: محمد علي عطفاي

أستاذ القراءات والتجويد ببرنامج تكوين الأئمة والمرشدات بالرباط

وأستاذ العلوم الأدبية والشرعية والترتيب

بالمدرسة القرآنية التابعة لمسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

في البداية: أسأل الله العلي العظيم التوفيق لأعمال هذا المؤتمر، وأن يجعل حسنات كل من أعان على إقامته أضعافا مضاعفة.

وثانيا: الشكر على الثقة والدعوة، ونسأل الله تعالى أن نكون عند حسن ظن الصالحين من عباده.

والامتنان لقبول موضوع المشاركة الذي أعتبره فاتحة بحوث أعمق وأوسع في هذا المجال البكر بكل تأكيد.

ومشاركتي عبارة عن لفت الانتباه إلى أنه ينبغي أن يترك حيز للبحث الجامعي في مجال القراءات لهذا التراث، وأن يقوم بطبعه نخبة من المختصين لدقائق ووعورة مسلكه.

وإلى صلب الموضوع مباشرة؛ فأقول:

تعريف الرمزيات:

«الرمزيات»؛ جمع رمزية، وهي مصطلح من المصطلحات المواكبة لعملية الإقراء في بلدنا عموما، وللجمع والإرداف كمنهج إقرائي بشكل خاص.

وهي مأخوذة من مادة: (ر – م – ز)؛ وتعني: أشار؛ إما بيده، أو بعينه، أو بأي وسيلة أخرى تفهم من توجه إليه هذه الإشارة المعنى المقصود منها بلا لبس.

ومن أمثلة ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾[1].

والرمزية عند قراء بلدنا عبارة عن خارطة طريق توجه القارئ بالجمع أيا كانت درجته[2]، ومرحلته إلى أماكن ومواضع الوقف والابتداء، وكيف وأين يعطف، أو يردف قارئا على آخر.

وبتعبير آخر، هي: عبارة عن علامات موضحة تشير إلى بداية الردفة[3]، ومن يقدم من القراء أو الرواة في مرحلته، ومن يتم عطفه أو إردافه على سابقه، وأين ينبغي أن يقف.

وفائدة هذه «الرمزيات»: إعانة القارئ المبتدئ، وتذكير المتمكن عند السهو؛ حتى لا يأتي بمحذور من محاذير عملية جمع القراءات في ختمة واحدة.

ويمكن تعريف «الرمزيات» بتعبير ثالث: بكونها مجموعة من الرموز الدالة على القراء والرواة، وكذا الأحكام والأوجه الواردة في ختمة جمع معينة. وهذه الرموز منظمة بشكل دقيق، خاضع لقوانين وضوابط مصطلح عليها[4]، تجعل من عملية جمع القراءات عملية مقبولة، غير مخلة برونق القرآن، وغير مؤدية إلى فساد المعاني وتحريفها.

---

(1) سورة آل عمران الآية 41 كوفي.

(2) الجمع درجات؛ أولها عندنا: الجمع لنافع براوييه: ورش وقالون، وندعوه: «قالون»، ثم جمع للمكي ونافع في ختمة واحدة، ونسميه: «المكي»، ثم جمع للثلاثة، أي: لأبي عمرو، مع الاثنين، ونسميه: «سما»، ثم سيدي حمزة، وهو جمع للسبعة، ثم جمع للعشر (الحرز والدرة)، ثم جمع للعَشْرين، وهو مركب من السابق، ثم، أو معه العشر النافعية التي قد تجمع وحدها، أو تدخل مع السابقة، ولكل مرحلة ديوان، أو رمزية خاصة.

(3) الردفة مصطلح يعني: بداية الجملة القرآنية التي يبتدئ بها القارئ وينتهي عند نهايتها حسب الوقف الهبطي المتبع، وتسمى ـ أيضا ـ: الهبطية، ولا تدعى ردفة إلا في منهج الجمع، وهو آخذ عندنا بتركيب الحرفي والوقفي.

(4) انظر على سبيل المثال شرح الرفري لمنظومة ابن يرمق.

وبما أن هذا التعريف يشير إلى المحاذير، وإلى الضوابط، وإلى الأحكام، و و و ...، فمن حق السامع أن يطلع ولو بصورة موجزة جدا على هذه الأمور التي جعلت صياغة هذه الرمزيات أمرا ضروريا، لا يكاد يستغني عنها المنتهي، بله الناشئ المبتدئ.

الأمر أيها القارئ يتعلق بقراءة ختمة من القرآن بأكثر من قراءة واحدة، أو رواية واحدة؛ وذلك بأن يعمد القارئ إلى جمع ما أمكنه تحصيله من هذه القراءات برواياتها، وأوجهها المعتبرة في الأداء الجمعي[1] دفعة واحدة، وفق أركان وشروط وضعها جهابذة الفن ونقاده.

فالقارئ هنا يحتاج إلى تتبع منهج دقيق يعرفه بمن تنبغي البداءة به، ومن يدخل معه من القراء أوالرواة؛ حيث يرد الخلاف بين القراء، و و ...؛ إذ ليس الأمر اعتباطيا عشوائيا، كما نسمع ذلك كثيرا هذه الأيام، بل إن كل ردفة من الردفات مهندسة البناء، مرصوصته، فهي ـ أي الردفة ـ جملة قرءانية ذات مبتدى ومنتهى، وتختلف باختلاف طريقة جمع القراءات:

فالذي يقرأ بالجمع بالآي ردفته واضحة المعالم، محددة الأطراف؛ إذا أحكم أمورا منها:

- معرفة العد الذي يأخذ به كل قارئ، وقد حضرنا جموعا تعتمد عدا واحدا هو الكوفي؛ مما يوقع في تداليس أغلبها يرتبط بالإمالات، وعدم تمام المعاني في بعض الآي المختلف فيها بين القراء؛ مثل:﴿ لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾، التي تميز البصري عمن سواه.

---

(1) المقصود هنا تلك الأوجه التي يعتبر عدم الإتيان بها إخلالا في الإقراء، أو تدليسا، مثل: إشباع قالون، وضمه وصلة الميم، وتحقيق أو تسهيل هشام في مواضع ذلك، ولا نعتبر في الجمع الأوجه الجائزة في الأداء، إلا بين السور ـ أحيانا ـ أو التكبير.

– معرفة أين يقف خلال الآية نفسها، لو تعلق الأمر بخلاف للقارئ يأتي به قبل تمام الآية، وخاصة إذا كانت طويلة، وكيف يقف لكل قارئ فيها في نوبته.

– معرفة الترتيب المسلوك في هذه الحالة، وغالبا عند غير المغاربة هو ترتيب أصحاب المصنفات المعتمدة.

وعندنا الترتيب التجانسي، ولا يسلكه إلا العارف.

– أما الذي يجمع بالوقف فردفته من بداية الجملة ـ عقب وقف تام أو كاف ـ إلى المكان الذي يحسن عليه الوقف، مع مراعاة المعاني، وجمال القرآن.

وردفة الجامع بالحرف: أن يقرأ حتى يصل إلى موضع الخلاف، فيأتي لكل قارئ بمستحقه، حسب أحد التراتيب المشار إليها قبلا.

وهذا النوع أبعد الجموع عن الرونق المقبول، ولا يكاد يركبه ـ كما شهدت في بلدان ـ إلا من لا معرفة له أصلا بقواعد الجمع، مما يسمعك العجب.

لكن المغاربة يقرؤون بجمع مركب، غايته الاختصار مع المحافظة على بهاء القرآن.

وأصله يعود إلى الإمام ابن الجزري. وقد طوره المغاربة؛ شأنهم في كل العلوم التي اقتبسوها فجعلوها مغربية بامتياز.

وإلى هذا يشير ابن يرمق ـ رحمه الله ـ إذ يقول:

الجمع للبدور في مغربنا ... مركب من مذهبين فافطنا
حرفي ووقفي وله أركان ... عطف تداخل لاح البيان
كذاك إحراز لأوجه الخلاف ... من غير تركيب أعني بالائتلاف

وغير إهمال لوجه ذي اعتماد[1] ولا إعادة له بلا معاد
دعا لذا الإيجاز والتبرك بكل مقرإ عداك الملك

فالقارئ يقرأ الردفة ناويا تشريك من يريد تشريكهم في ختمة، وينطلق هكذا في المواضع التي لا خلف فيها لسائر قرائه. ولا يعيدها لواحد منهم لعدم الحاجة. فالقصد في الأساس هو الاختصار في الجهد، والزمن المصروف لهذه الغاية. ويستمر في القراءة جاعلا نصب عينيه مواضع الوقف المعهودة عند قراء بلدنا، وهي الوقوف الهبطية الموحدة.

وقولي هذا إشارة إلى أن هذه الهبطيات أماكن لالتقاط النفس الطبيعي، والراحة الاعتيادية.

وبعدها يستأنف ردفة أخرى، حتى إذا عرض في طريقه موضع خلاف قرائي من النوع الذي يفترض الإتيان به نظر إلى ما يلي[2]:

- ترتيب الخلافات الواردة في الردفة.
- أقرب الخلافات إلى نهاية الردفة.
- أقرب القراء خلفا للمقروء له من القراء.
- صاحب المرتبة الذي يصح عطف خلافه على من تقدمه.
- من أين يعطف ؟، أمن الحرف ذاته، أو لا بد من عودة إلى مكان مقبول؛ احترازا من إفساد المعاني[3].

(1) في كل نسخ المنظومة: «لوجه معتمد»، وفيه سناد الردف، فأقدمت على وضع: «ذي اعتماد»؛ ليسلم من ذلك. وعموما مثل هذه كثيرة في الأنظام التعليمية.

(2) انظر تفاصيل هذه العملية في فصل ذلك في النشر، ثم في الباب الذي خصه به الإمام محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) في محاذيه. وكذا انظر إتقان الصنعة، وشرح البرمقية، وغيرها كثير.

(3) ونظرا لعجز طلاب المقارئ، أو أقلهم عن إدراك المعاني وضعت هذه الرمزيات المغنية عن تتبع وضع ومعاني حروف الجر وقوة الارتباط من عدمه، والمعاني المترتبة عن الوصل والقطع، وهكذا.

- كيف يقف على الحرف موقع الخلاف؟ أيقف عليه، أم بعده حسب الأحوال التي يختلف فيها حكم الوصل والوقف بين القراء.

مراقبة آخر الأوجه المحتفظ بها في اليد لتسير القراءة على انسجام، ولا يعتريها ظلع، أو نشاز.

وللتمثيل لذلك نأخذ أبسط المواضع وأقلها خلافا وهو بداية سورة الفاتحة. وردفتها أو هبطيتها من أولها إلى ﴿الدين﴾، والوارد فيها للسبعة خلافان: ﴿الرحيم ملك﴾ للسوسي، و﴿مالك﴾ لعاصم والكسائي؛ فتقرأ لورش حتى ﴿ملك﴾، ويدخل معه من السبعة غير المذكورين، ثم يردف الاثنان من ﴿مالك﴾ وحدها، ثم يعطف من ﴿الرحيم﴾ إليها للسوسي.

وقد يعبر البعض بالعطف مكان الإرداف، والصحيح ما ذكرت. ورمزها للسبعة هكذا:

الحمد

ولو أخذنا من النحل من قوله تعالى:﴿ثم إذا كشف الضر...آتيناهم﴾:

(ج د ضْ ع بـ ه كـ .:ج ضْ ع كـ بك د)

وإذا بشر: (ج حب طرقا ده صح)

ولو قرأت للعشريْن من الدرة لاختلف الترتيب قليلا هكذا:

(اهدنا:

ضف طك ح هاوه اكـ ه١١ ض م جْ ز ١٠ ض م تبـ جْ ز ط ك ض
ع م صق طب والا ...

ولو قرأت من الطيبة لزاد الخلاف إلى ما شاء الله لزيادة أوجه الطيبة عن الدرة خاصة التعظيم في لا ريب وأوجه السورة وغيرها.

ثم إذا انتهى خلاف الردفة الواحدة نظر في كيفية المواصلة.

فهي إما بالترتيب المسلوك في المصنفات وهو معروف، وعملنا لا يعول عليه.

أم بالترتيب المراعى فيه قارئ البلد.

أم بما يقتضيه المقام، فيكون الانطلاق من آخر القراء في الردفة المتقدمة ليكون هو المنطلق للوقفة اللاحقة. وهي طريق الماهر المتمكن.

ويعبر قراؤنا عن ذلك بالرتبة والمصدر.

قال القيجاطي:

ويبدأ بالراوي الذي بدأوا به ... ولكن هذا ربما عد أسهلا

ولعدم وجوب الالتزام بهذا الشرط قال ابن القاضي (ت1082هـ).

ولا يعد ماهرا في الذكر ... ملتزم الترتيب فافهم وادر

كورشهم قبيل قالون ورد ... كذاك في الأخذ لديهم مستند

وعكسه قل جائز في العمل ... دليله في الحرز والدر جلي

أما الأركان المشار إليها فهي:

1- العطف وهو مراقبة أقرب القراء خلفا من سابقه، فينظر أين اتفق القارئان أو القراء، ومن تخلف منهم في حرف فيعطف عليه.

2- التداخل حيث لا يختلف القراء فيكتفى بقراءة واحدة. وفي الرمزية برمز واحد ناوين التشريك.

3- عدم التركيب. وهو أعوص ركن في الباب، ومِن أجله صيغت هذه الدواوين؛ لأننا أصلا في عملية تركيب كبرى لولا هذه القواعد لغدت مستحيلة مرفوضة شرعا، ولما تقبلها علماء الأمة، وعلى رأسهم الداني في المائة الخامسة بالقبول.

ويراد بالتركيب المنهي عنه هنا: خلط أكثر من رواية أو طريق أو وجه في نفس واحد؛ أقول في نفس واحد ولو للقارئ نفسه.

ونتخلص من هذا التركيب بإفراد كل وجه واجب على حدة وفي نفس واحد، ثم العودة بعد ذلك إلى البقية.

والمنطلق هنا الذي يحررنا من وزر التخليط هو اعتبار الردفة كالسورة الواحدة، فنؤمر بإيرادها على بابها إلى منتهاها[1].

4- تجنب الحشو: والمقصود تجنب إعادة قراءة ما لا طائل تحته، ولا الاستمرار في قراءة كلمات لا يؤدي الاسترسال في قراءتها إلى فائدة أو تمييز وصل قارئ عن غيره، أو تنزيه أو تقديس أو توقير، وذلك لأن هذا العمل أصلا يستهدف الاختصار في كل شيء، فإذا لم يتحقق هذا، فالقراءة بالإفراد أولى وأصدق وآصل، وقد حضرت في بلاد هنا وهناك (زعوم جمع) هي إلى مجرد ادعاء بهذا المختصر الوجيز حاولت وضع سامع العرض في محيط الرمزيات الزاخر، وبيان المنطلق الذي انطلق منه روادها الأولون.

فهل لهذه الرمزيات بدايات؟ ورواد أولون؟ أو من ابتكر هذا الفن ومتى؟

---

(1) انظر تفصيل ذلك وحمل القراء حديث قراءة أبي بكر من كل بستان زهرة وأمره صلى الله عليه وسلم إياه بإنفاذ السورة إلى منتهاها في فصل ذلك في محاذي ابن عبد السلام.

نحن في الحقيقة أمام بدايات لهذا التراث العريق.

- بداية تهم مسألة الترميز ذاته واستعماله.
- بداية تهم استخدام الترميز في القراءات.
- بداية تخطيط طرق القراءة بالجمع.

فأقول بإيجاز:

البداية الأولى

أما عن البداية الأولى التي تجعل من الحرف رمزا لمعنى أو اسم أو عدد فهي قديمة جدا عرفتها الإنسانية منذ دهور.

فالكتابة نفسها التي تستخدم اليوم لدى كل الشعوب، والتي تستخدم فيها هذه الحروف لقراءة هذه الكلمات هي في حد ذاتها رموز تطورت عبر آماد بعيدة ليس هذا مجال تفصيلها بعد أن كان الإنسان يعبر عن حاجاته بصور وأشكال تلك الحاجات.

ثم أَكْثَرَتِ اللغات السامية من استخدام الحرف في التعبير عن المراد كما في الإشارة إلى[1] معنى أو عدد عبر ما يعرف بحساب الجمّل القديم جدا.

وهو نظام أبجد هوز ... المعروف بإعطاء كل حرف قيمة عددية. ولا أريد أن أذكر هنا قيما أخرى للحرف، بل أكتفي بما له صلة بموضوع الرمزيات التي لا تفهم إلا من خلال هذا الجرد السريع.

---

(1) قد أعطي لحروف أبجد معان ومسميات ودلالات تختلف باختلاف الحقول المعرفية التي تستخدم فيها، فالألف مثلا دليل الوجود ورمز الاستقامة وعنوان التآلف. والباء للرجولة والباءة، والراء للناظر والمصدور، والدال للمستعجل، والنون للدواة والحوت والناقة العجفاء، والهاء للتنبيه...وانظر الحرالي وابن البناء وشمس المعارف الكبرى، ولم يغب الشاطبي رحمه الله عن بعض ذلك.

وأكثر الشعوب التي برزت في الباب واستخدمت أبجد الجملية هم اليهود وخاصة في البيع بإيراد شفرات يفهمها الأحبار والقساوسة والرهبان خاصة.

ففي أسفارهم ورد ذكر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل[1] إما مصرحا باسمه كما في كتاب ملاحم {إذا كان غذا أرسل لك عبيدي يفتشون بيتك وبيوت عبيدك وحيثما كان محمد. عنايتك يجعلونه في أيديهم ويأخذونه منهم يعني العلم الذي فيه اسم محمد يأخذونه عبيدي من أيديكم ويزيلون انتصاركم به}.

أو معبرا عنه بحساب الجمّل كما في سفر {هوشع}.

ورمزية اسمه [92] [illegible] ورمزه [illegible] أو [illegible]، واسم أحمد رمزه [illegible] عدد جمل {أحمد}.

فقد استعملوا هذه الرموز في كل شيء تقريبا: في الأذكار والتعاويذ والسحر والغناء. ولا ينفصلون عنها ولا يستطيعون لها إنكارا.

كما استعملها العرب أيضا وهم ساميون بترتيب يرد لاحقا وأدخلوها في أشعارهم ضمن ما يدعى التاريخ البديعي[2] لتخليد مواليد ووفيات أعلام أو مدن أو أحداث.

ومن ذلك وفيات الفشتالي الذي استهله بوفاة سيد الأولين والآخرين بقوله: {احب11ه} رسول الله ثم عتيقه.

---

(1) كتاب السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود، لعبد الحق الإسلامي السبتي، بتحقيق محمد العربي العمراني الخالدي وعبد اللطيف أزميزم ادريوش، دار الكتب العلمية بيروت / ص 51 وما بعدها.

(2) لا يدعى تاريخا بديعيا عند البلغاء إلا إذا كانت فيه إشارتان:

الأولى: إلى معنى لطيف يرتبط بالمؤرخ له كما في قول ابن الجزري مثلا

والثاني: الإشارة إلى السنة المؤرخة أو العدد المقصود.

ثم دخل مجال الأنظام وخاصة التعليمية خارجا أوقاتا كثيرة عن البديعية إلى التعليمية المجردة. ومن ذلك:

- أبياته {ضحى} وعامه {شم} 1040 هـ[1].

- {شمل} لتاريخ و{صدر} للعدد: 1070هـ - 264[2]

ومن جملة الرائق المقول في هذا نهاية الدرة لابن الجزري رحمه الله إذ يقول:

وتم نظام {الدرة} أحسب بعدها 240

وعام {اضا حجي} فأحسن تقولا 823 هـ

البداية الثانية:

أما البداية الثانية فعن استخدام هذه الرموز في مجال القرآن والقراءات.

وأنا لا أعلم لحد الآن من سبق الإمام أبا القاسم الشاطبي ت 590 هـ إلى هذا الابتكار في مجال تلخيص القراءات.

وإن علم أحدكم فرحم الله من علمنا حرفا.

لقد استهدف الإمام من نظم التيسير تحقيق غايتين على الأقل:

أولاهما: تحبيب مضمن الكتاب إلى القراء.

---

(1) من نهاية منظومة المقنع في التوقيت لأبي عبد الله المرغتي السوسي رحمه الله.

(2) من نهاية الهدية المرضية لطالب القراءة المكية. منظومة تبين لحافظ قراءة نافع مواقع خلاف القارئين، وهي مما يحفظه طالب المقارئ في المغرب سهلة ميسورة وفيها جزالة ما لسيدي ابن عبد الله الرحماني رحمه الله.

وهذا لا يتحقق إلا بركـوب الـنظم والشـعر والـوزن والقافيـة والإيقـاع المجبولـة النفوس على حبه والانسياب معه.

كما يتحقق بصياغة الشاطبية بطريقة جذابة معينة عـلى تسـهيل الحفـظ عـبر تـداعي المعاني والمشاكلات اللفظية والمعنوية والإيحاءات إلى اللطائف التي أود إرجاء الحـديث عنها لعرض آخر بحول الله.

وثانيتهما: الاختصار لا الاقتصار.

وهو يتم بابتكاره سوق أسماء القراء والرواة مرموز لهم غالبا بحروف أبجـد هـوز، مع ترك فرصة للتصريح في أحوال معروفة من منهجه مع المؤاخـاة والتقابـل والتضـاد والكناية وغيرها.

ولولا هذا الصـنيع لـزادت 1173 بيتـا إلى أكثـر مـن ثلاثـة آلاف، فضـاع مقصـد الاختصار.

فالقراء مرتبـون عنـد صـاحب القصـيد كترتيـبهم في أصـله التيسـير، ثـم وزع علـيهم الأبجدية بترتيبها المغربي. فنال كل في موقعه من القراءة أو الرواية ما ينوبه منهـا. ولا طائـل لي تحت تذكيركم بما تحققون. وإنما القصد التأصيل التاريخي لهذه الرمزيات، وبما أن الرمـوز المستخدمة في الرمزيات في القسم الكبير منها هو ترتيب الإمام المغربي؛ فهذه صورته:

أبج دهز حطي كلم نصع فضق ❊❊❊ رست ثخذ ظغش على هذا النسق

والواو فاصل / ...[1]

---

(1) من طيبة النشر، ولم يخالف فيه الشاطبي في الترتيب، وإنما كانت مخالفته بدءا من رموز الشـاطبي الحرفيـة الجمعية لما يقتضيه التعشير للقراء عن التسبيع فليراجع في محله.

ولرهافة حس وجميل ذوق الإمام وانفتاحه مثل بقية العلماء المغاربة فقد خص ناظمة الزهر في العد بترتيب مضيفيه المشارقة، وهذه صورته رغم أن لا تعلق له برمزيات المغاربة:

أبجد هوز حطي كلمن / قدر مشترك

سعفص قرشت ثخذ ضظغ / من 1 إلى 1000.

وفائدة معرفة هذا أنه في الناظمة أعطى لهذه الرموز بعدين:

بعدا لقبيا في حروف قليلة هي {أبجد هو} للعادين بترتيب

أ – مدني أول

ب – مدني ثاني

ج – مكي

د – شامي دمشقي. وأغفل الحمصي كأصله.

هـ- كوفي

و – بصري

وبُعدا عدديا؛ وهو لبيان عدد كل سورة عند كل فريق.

إذن، فرموز الرمزيات القرائية هي نفسها المعهودة في حرز الشاطبي بدون تغيير.

ولأن المغاربة تزيد جموعهم عن السبع، ولأن المأخوذ به عامة في التعشير هو الحرز والدرة. وهو ما يدعى بالعشر الصغرى[1].

---

(1) اللاميتان هما الحرز للشاطبي والدرة لابن الجزري، وكلاهما من البحر الطويل ذي العروضة والضرب المقبوضين، ويسمى الجمع بينهما عشرا صغرى لاعتماد الناظمين معا على طريق واحدة لكل راو من الرواة الأربعة عشرة في الحرز والستة في الدرة. والبون بينهما كبير في التداعي الذي يتميز به الشاطبي رحمه الله.

ولأنهم أيضا يعتمدون أحرف الدرة نفسها.

ولأنهم أيضا يجمعون لنافع طرقه العشر مستقلة أو مدرجة مع العشر الصغرى.

فمن المتوقع أن تتطور عندهم الرموز المستخدمة في خرائط الطرق تطورا يستجيب لمقاريهم، ودمجها بعضها في بعض مع المحافظة في السبع والعشر الكبرى لمن يسرها الله له على المستخدم من ذلك.

وأقول (لمن يسرها الله له) لأن غالبهم حين يعشر يقرأ بالحرز والدرة، ورموزهما لا تختلف. فقد جعل الإمام ابن الجزري قراء الدرة الثلاثة امتدادا لأصلهم من الشاطبية.

ولتلافي التخليط ابتكر المغاربة سبلا للتمييز بين قراء اللاميتين يأتي الحديث عنه عند الكلام على صياغة وصناعة الرمزيات.

وأما الجمع النافعي في العشر الصغير؛ فله مذهبان في الترميز:

مذهب غير منتشر، وهو ترميز الوهراني في منظومته وهذه صورته:

أ- ورش

ب- الأزرق

ج – الأصبهاني

د – العتقي

هـ – قالون

ز – أبو نشيط

ح – القاضي

ط – الحلواني

م – المسيبي

ن – ابنه

ص – ابن سعدان

ي – إسماعيل

ك – أبو الزعراء

ل – ابن فرح.

والمذهب الثاني للمغاربة ومعظم الجزائريين خاصة مدرسة تلمسان التي هي في الحقيقة والتاريخ امتداد لمدرسة فاس في الفكر والمذهب والرجال من الشيوخ والتلاميذ.

وصورة هذا المذهب هكذا:

// ج – ورش راوي نافع

ي – يوسف الأزرق

ت – عبد الصمد العتقي

ص – الأصبهاني

// ب – قالون

م – أبو نشيط المروزي

ح – الحلواني

ق – القاضي

// س – إسحاق المسيبي

و – ولده

د – ابن سعدان

// ل – إسماعيل بن جعفر

ف – ابن فرح المفسر

ز – أبو الزعراء ابن عبدوس

وهذه أضبط لانطباق حروفها مع أسماء الرواة، فالياء ليوسف، والتاء للعتقي، والصاد من الأصبهاني وهكذا إلى النهاية.

البداية الثالثة

وهي بداية ظهور الرمزيات.

لعل غيري من القراء والباحثين يزيد الأمر تقريبا استمدادا من الخزائن التي لم يطلع عليها إلا الخاصة، خاصة وأن هذا الموضوع لم يبحث فيه لحد الآن بحثا تاريخيا ولا علميا، ولم أر من اقتحم هذه الآجام من الباحثين حتى الآن.

وأقدم رمزية وصلت إلى يدي رغم كثرة ما عندي منها يعود تاريخها إلى بداية القرن الحادي عشر الهجري.

الأولى في العشر الصغير.

والثانية في السبع.

ومن طريقه أستشف أن زمنا كبيرا قد تقدم كتابتهما؛ أولا لأن تطور العلوم والفنـون يقتضي التدرج قبل زمن النضج والاكتمال، وثانيا لأنهما أقرب إلى الجيل الثالث من هذه الرمزيات.

أما رمزيات العشر الصغرى (الحرز والدرة) فعندنا منها نماذج وهي في أقدم نسخها تعود إلى ما بعد منتصف الحادي عشر الهجري؛ لتأخر دخول النشر وباقي مصنفات ابن الجزري خاصة درته إلى المغرب المؤرخ بأبعد تقدير إلى 1040هـ.

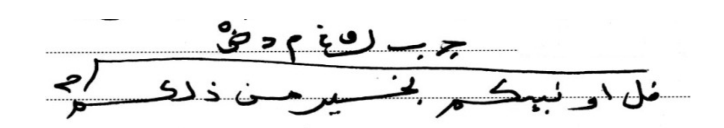
أنواع الرمزيات

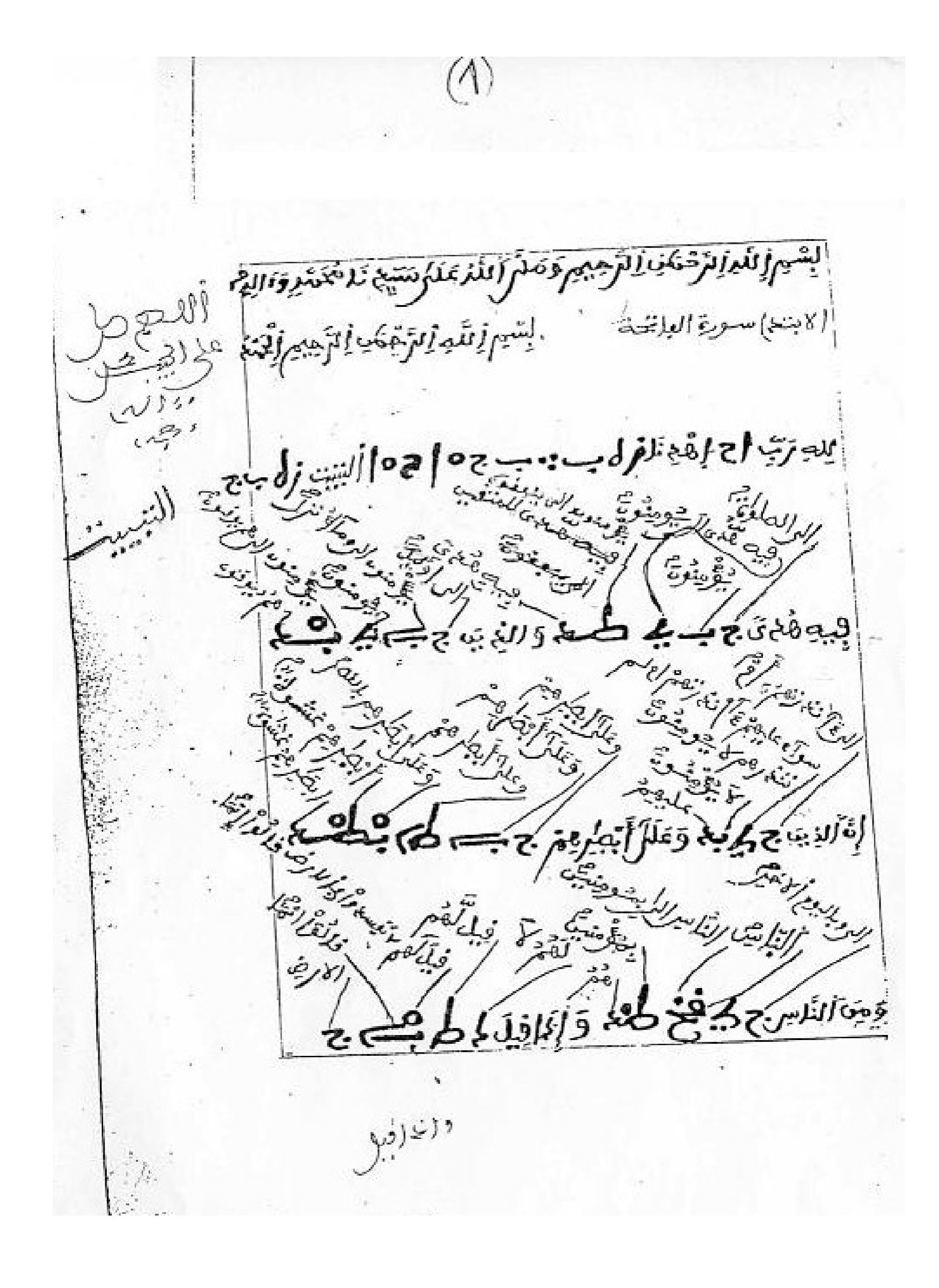
مرتِ الرمزيات بتدرج وتطور، يحكي تطـور كافـة الفنـون، كـما يشـهد للغايـة مـن صناعة هذه الدواوين، ويشير أيضا إلى الفئة المستهدفة، فقد كانـت في البدايـة مرتبطـة بألواح الجامعين، إذ يكتب الحافظ المتعلم منهم جزأه اليومي، ثم يرسم له الشـيخ عـلى أسطر اللوح أمرين اثنين، وعلى أسفل اللوح أمرا ثالثا.

أما الأمر الأول فهو سطر أفقي يمتد على مدى النفذة يشبه العقلة هكذا

أو يكتفي في مرحلة لاحقة إلى نهاية الردفة ليرسم عليها علامة الانتهاء هكذا

وفوق ذلك السطر أو على ظهر تلك العلامة يرتب الشيخ حـروف القـراء والـرواة الواردة خلافاتهم حسب ترتيبهم في قراءة الردفة هكذا :




(١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(لابتدا) سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد

التنبيه



سورة الماعون مكية

سورة الكوثر مكية

سورة الكافرون مكية

وتحت اللوح ما يتيسر للشيخ من أنصاص متعلقة بالمقروء أو بعضه موصولة بخطوط دقيقة إلى مكان الخلف في اللوح.

وقيمة هذه العملية تتجلى قي ضبط قراءة المتلقي الذي لا يستطيع في هذه المرحلة تحديد مواضع الوقف والابتداء، ولا ترتيب القراء حسب ما تقتضيه قواعد الجمع وشروطه.

وقد وصلت إلى أيدينا رمزيات من هذا النوع، وأشهر مميزاتها:

1 سهولة التلقي بواسطتها.

2 أنها كتابة في الحقيقة لكل القرآن.

3 أنها طويلة جدا.

وهذا الطول هو الداعي إلى تطوير كتابتها للمرحلة الثانية، أو الجيل الثاني من هذه الرمزيات أقل طولا واختصارا وإن كانت لا تزال بعيدة عن هدف التذكير، وهو ما يطبع ويميز رمزيات الجيل الثالث الأقصر والأشبه بالطلاسم منها بالقرآن.

فرمزيات الجيل الثالث تكتفي بكتابة الكلمة الوحيدة أول الردفة، ثم تليها الرموز المزدوجة.

وتمتاز هذه الأخيرة بما يلي:

1 – أنها أخصر في التدوين لنص القرآن.

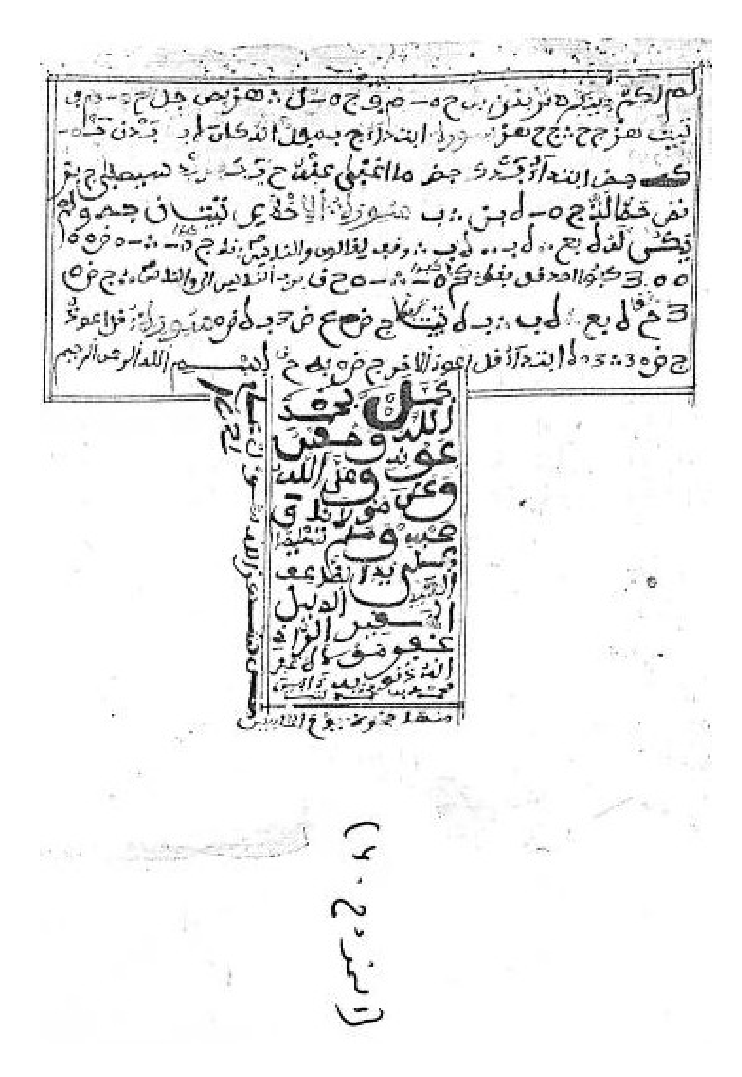
2 – لا تستهلك ورقا كثيرا.

3 – تعول على الحفظ الجيد لنص القرآن من جهة، وللخلف الروائي من جهة تالية.

4- لا تضيف أي إشارة أخرى كما في رمزيات الجيلين الأولين من قبيل التقديم والتأخير، والمد ومقابله، والوجه ونظيره، بل تضع علامات الإشارة إلى الخلف دون تعيينه، وهذه العلامات هي المقصودة بقولنا سابقا «الرموز المزدوجة».

5- وهذه صورة من رمزيات هذا الجيل المتطور:





ويحين الآن الحديث بإيجاز عن صياغة هذه الرمزيات.

وكنت قد أشرت إلى تنوعها وأجيالها دون أن أعني أن العمل بجيل أول أو ثان قد انقطع.

فإن الجيل لا يقف عند الفترة التاريخية ينتهي بانتهائها، بل بالحاجة والقصد من صناعتها.

فلا تزال مدارس القراءات التقليدية إلى اليوم تستخدم الأجيال الثلاثة المعبرة عن تطور القارئ نفسه، لا الحقب التاريخية فهذا النموذج الذي أعرضه الآن عن رمزية البصري ليست قديمة بل هي حديثة من القرن الرابع عشر الهجري.

وهي - كما يرى من الصورة - من النوع المعروف عندنا بـ «أجرد»، أي أن النص القرآني يكاد يكتب كاملا، وبها خطوط تشير وتربط بين القارئ وخلفه.

كما أشير وقد عرف السامع تنوعا كبيرا في الرموز المستخدمة وتشابهها بين الحرز والدرة ورموز العشر الصغير، فكيف يفرق بين الأصناف المعبرة عن ارتقاء القارئ المغربي في الإقراء؟ أي كيف يميز القارئ لها بين ألف نافع وألف أبي جعفر ورواتهما؟ وكيف يميز بين صاد شعبة وصاد الأصبهاني؟

لقد عرفنا أن ابن الجزري جعل قراء درته الثلاثة امتدادا لنظرائهم وأصولهم في الحرز، فأبو جعفر نظير لنافع، و هذا أصل له في صناعة الجمع فقط، أو تيسير خلاف الدرة ، وإلا فأبو جعفر في الحقيقة أصل لنافع، فهو من شيوخه، ولا تخلو ظاهرة أدائية في مقرإ أبي جعفر إلا ولها وجود في مقرإ الإمام نافع.

وأبو عمرو أصل ليعقوب، وهذه حقيقة في الصناعة والقراءة، ولهذا اختار له رمزه في الشاطبية، وهو الحاء بحروف رواته ذاتها.

والأمر كذلك لخلف العاشر مع أصله حمزة رحمهم الله جميعا.

وللتمييز بين هذه المتشابهات عمد علماء الفن في المغرب إلى وضع علامات مميزة هي:

- ترك الحرف مجردا إذا دل على قارئ أو راو من الحرز.
- وضع خط طولي "ا" فوق الحرف إذا دل على قارئ أو راو من الدرة.
- وضع صفر صغير فوق الحرف مباشرة ليدل على راو أو طريق في العشر النافعية "ْ" .
- ثم إن هناك رموزا أخرى تقتضيها الصناعة غير هذه تشير إلى الأحكام والخلافات والأوجه نلخصها فيما يلي:
- علامة الإشباع في المد.
- ضده وهو القصر

وتعني الإتيان لقالون مثلا بوجه الإشباع ثم تعطف عليه وجه القصر.

- علامة التحقيق وتقابلها الدارة الصغيرة: أي: خلف بالسكت على الهمز ثم بالتحقيق.

– أخرى وهو إعادة قراءة الردفة مرة أخرى لإخراج خلف قراء أو رواة ما أخرجتهم قراءتها للمرة الأولى.

– علامة المقدم.

– علامة المؤخر. كما في وتعني: هشام بوجه تقديم وجه وتأخيره.

– علامة القالونية؛ وهي المعبرة عن تحقيق الهمزة.

ويزيد قراء شمال المغرب علامات أخرى؛ كالنقطة والعدد، وهي تشير إلى مرات قراءة النفدة أو الردفة.

كما تزيد في رمزيات ازدواج العشر الصغير بالعشر- الصغرى دوائر صغيرة تميز الجمال وأبا عون الواسطي وابن سيف وابن هلال عن ورش بتمامه، وحفصا والحارث والبزي، وتعرف من شكل الدارة ومكان وضعها على الحرف أو أمامه.

وهذه صورة من ذلك:

(النموذج 2)

[illegible]

(المجلد ج- 6)

وما دمنا في صياغة الرمزيات فإن الخبير بها يجد فروقا كثيرة بين رمزيات حفظة أهل سوس، ورمزيات جبالة مثلا .

- في الرمزيات السوسية ميل كبير إلى الاختصار والتعويل على المحفوظ.
- عدم ذكر كثير من الردفات الجلية التي ليس فيها كبير خلف، أو فيها خلف في أصل أو أصلين تقدم بيانه.
- كما يتضح اختصارها أيضا في تقديم بعض القراء على بعض، وخلاف ذلك في الموضع نفسه بين رمزيات الشمال والجنوب.

وكثيرا ما اختلفنا نحن جماعات في البدء، وعند المذاكرة نلجأ إلى العد فنسأل: لنحسب كلمات الردفة في الأدائين، أيها أقل كلمات مع الوفاء بكل الأوجه، ودون إهمال الهامِّ منها .

وإذا كانت الغاية أصلا من الجمع هو الاختصار فإن الأمر واضح .

- كثير من رمزيات الشمال والجنوب تختلف فيما يدعى؛ الرتبة والمصدر، وبناء عليه يختلف ترتيب الرمزيات وطول المقروء فيها وانسياب الخلاف في الرتب والدرجات بين الماهر وغيره.

زيادة رمزيات المغاربة عموما بباب الارتحال من الناس إلى الحمد أو غيرها من السور

وفي الختام: إن ما قدمته موجزا بهذه الطريقة استجابة لظروف مثل هذه الندوات ليس سوى فتح لشهية الطلاب نحو هذا الموروث العجيب.

وأقترح على هذا الجمع الموقر ما يلي.

1- بما أن معظم الحاضرين من أساتذة الجامعات ومن الذين يوجهون البحث الجامعي، فإني أرى أن تخصص مناصب محدودة لهذه الصناعة لا يقتحمها إلا الحفظة الماهرون، يقومون بما يلي:

- تحقيق بعض الرمزيات بالتدريج من قالون إلى العَشرين.
- شرح الرموز المستخدمة في هذه الصناعة.
- بيان الأسس:
  - النحوية.
  - اللغوية.
  - القرائية.
  - المنطقية.
  - الحسابية.

التي تستند إليها هذه الصناعة، وطبع كل ذلك طباعة جيدة.

2- أقترح على معهد الإمام الداني المنظم لهذا اللقاء ألا يخلي حصصه من هذا الموروث، وأن يستعين بمتقني هذا الفن بعيدا عن أي اعتبار للشهادات الجامعية، فالكفاءات لا شأن لها بالشهادات.

هذا، ولبقية الدواوين القرائية من الحطيات، والأسطر العليا، والعدديات، والأنصاص، مجال واسع آخر للدراسة، وإنما كان القصد إيجاز القول عن الرمزيات خرائط الطريق، وبالله التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

من خلفه فليحيينها الذي جعل لكم اوليس الذي بلى

انما امره اذا اراد فسبحن الذي بيده ملكوت

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات رب المشرق انا زينا السماء الدنيا

لا يسمعون ولهم عذاب فاستفتهم بل عجبت واذا

وقالوا ان هذا الا سحر مبين فانما هي احشروا

وقفوهم واقبل بعضهم قالوا انكم كنتم تاتوننا

فانهم يومئذ انهم كانوا اذا قيل بل جاء بالحق انكم لذائقوا

اولئك لهم عليهم فاقبل بعضهم قال قائل منهم

قال هل انتم مطلعون افما نحن

اذلك خير انهم الفوا اباءهم

كملت الهمزية والهمزية بحمد
الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل
والحمد لله رب العالمين
على يد كاتبها المنغمس ولمن تملك لن شاء الله
بعده الذليل الحقير الراجي عفو مغفرة ربه
العربي بن المك ابن عبد الله المنا هد
التازدكار الله له ولوالديه ولاشياخه الاموات
منهم والاحياء ولجميع المسلمين والمسلمات ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وكان الفراغ من كتبها
يوم الخميس قرب الزوال بعد ما خلت من شهر
الله المعظم رمضان 3 يوما
عام 1084
والحمد لله
رب العالمين

ونقل السيوطي في جامعه عن الامام الديلمي في مسند الفردوس
وقال صلى الله عليه وسلم يحضر عند ختم القرآن ستون الف ملك
وقال صلى الله عليه وسلم القرآن الف الف حرف وسبعة وعشرون الف
حرف فمن قرأه صابرا محتسبا لله كان له بكل حرف زوجة من الحور العين

وقال